عصور - تصنيف ج- المجلد 22 / العدد03 - ديسمبر 2023
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال:10.54239/2319-022-003-014 (DOI)

الحركة الصوفية بإيالة الجزائر: الجذور والمآل (1519- 1830م)

The Sufi Movement in Algeria's Regency: The Roots and Outcomes (1519 – 1830)

د. محفوظ حني*
جامعة غرداية/ الجزائر
hani.mahfoud@univ-ghardaia.edu.dz

تاريخ الإرسال: 2023/07/30 تاريخ المراجعة: 2023/08/20 تاريخ القبول:2023/11/18

الملخص:

يناقش المقال إشكالية انتشار الطرق الصوفية والزوايا واشتداد نفوذ المرابطين بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني، بعد تغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية بمجيء الأتراك العثمانيين وبسط سلطانهم على البلاد. نتساءل أولا عن بدايات الحركة الصوفية بالمغرب الأوسط، وامتداداتها بالإيالة خاصة في الفترة العثمانية، بدء بعلاقة الترك بالتصوف في الأناضول، والأسباب والدوافع التي أدت لتشجيعهم له من جهة، والظروف والمراحل التي مر بها من جهة أخرى. بالرجوع إلى مصادر الحقبة العثمانية في شقيها بتركيا وفي جزائر الغرب يتأكد لنا أن احترام العثمانيين لأهل التصوف يعود لتكوينهم الديني والنفسي والحربي بدرجة أولى، وأنهم بالبلاد حاولوا كسب تعاطف الناس واجتناب التمرد عليهم، غير أن ذلك لم يمنع من قيام ثورات بعض الطرق عليهم كالدرقاوية أواخر العهد العثماني. فالحركة الصوفية قد عرفت قبل مجيء العثمانيين إلى الجزائر، وازدهرت أكثر في أيام حكمهم، وانحسرت في أواخر عهدهم.

* د. محفوظ حني، قسم التاريخ، جامعة غرداية.

الكلمات المفتاحية: الطرق الصوفية؛ الزوايا؛ المرابطون؛ الطريقة القادرية؛ الأتراك العثمانيون؛ الدايات؛ إيالة الجزائر؛ العهد العثماني.

Abstract:

The Article discusses the issue of the spread of the *Sufi* Orders and *Zawaya* sand intensification of *marabouts'* influence in Algeria's Regency during the Ottoman period, after a change in political, social, and cultural conditions on the wake of the Ottoman Turks' arrival and establishment of their authority over the country. We question the beginnings of the *Sufi* movement in Central Maghreb, its extensions in the regency especially during the Ottoman period; starting with the Turks' relationship with Sufism in Anadolu, their causes and motives for promoting it on one side, and the conditions and phases that Sufism underwent on the other side. With reference to resources from the Ottoman era in Turkey and in Algeria, we confirm the Ottomans' respect for the Sufis primarily due to their religious, psychological, and military setup; and they attempted to win the people's sympathy in the regency and discourage rebellion, however that didn't deter rebellions from some Orders such as the *Darqawa* especially in the late Ottoman period. Thus, the Sufi Movement was present in Algeria before the arrival of the Ottomans, flourished more during their rule, and subsided in their late reign.

Keywords: Sufi Orders; *Zawayas*; *Qadiriyya* Order; *Marabouts*; Turkish Ottomans; *The Deys*; Algeria's Regency; The Ottoman Era.

مقدمة:

يقول شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول: "كان الدين هو المبرر الأول لظهور العثمانيين في المشرق والمغرب. وإذا كان تاريخهم في المشرق لا يعنينا هنا فإن تاريخهم في المغرب كان أساسه الدين كما عرفنا. فلولا الحروب الصليبية التي شنتها أوروبا الغربية بقيادة إسبانيا ضد الجزائر

(والمغرب العربي عموما وكذلك الأندلس) لما كان هناك مبرر لتدخل آل عثمان. فقد كانوا هنا، كما كانوا في آسيا الصغرى قرونا من قبل، مدفوعين برغبة الجهاد والحماس الديني للدفاع عن حدود الإسلام الغربية، وكانوا بالطبع يبحثون لهم عن حلفاء ومؤيدين، فوجدوهم في رجال الدين، وخصوصا المرابطين" (سعد الله، 1998م، صفحة 460).

استنادا إلى هذه المقولة يتأكد لنا أن العثمانيين لم يكونوا مدفوعين فقط برغبة الجهاد المقدس ضد الغزاة الإيبيريين عند وفودهم من آسيا الصغرى، بل دعمه صنف من صفوة الناس كانت لهم حظوة ومكانة، وساندوه منذ البداية، وكان لهم تأثير في سير الأحداث فيما بعد سواء في بداية حلول العثمانيين، وفي أثناء فترات حكمهم، وحتى فترات ضعفهم. ويتعلق الأمر بزعماء الطرق الصوفية "المرابطين".

فمتى ظهرت تلك الطرق في المغرب الأوسط؟ ومن هم أشهر المتصوفة الذين عرفوا آنذاك؟

قبل الولوج إلى الموضوع يمكن تقديم تعريف بسيط لأصل مصطلح "المرابط"، حيث ورد في لسان العرب لإبن منظور أن فعل "ربط" من "الرباط" و"المرابطة" وهي "ملازمة ثغر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله ثم صار لزوم الثغر رباطا وربما سميت الخيل أنفسها رباطا"، والرباط كذلك "المواظبة على الأمر"، وهي في الأصل "الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتباط الخيل وإعدادها"، وبذلك سمي "المقام في الثغور رباطا". قال الله تعالى "وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ" (سورة الأنفال، آية 60)؛ أي يقصد بها "مرابطة العدو وملازمة الثغر" (ابن منظور، 1300هـ/ 1883م، الصفحات 173- 174).

من هذا المنطلق، فإن من أبرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية والزوايا التي أنشئت قبل القرن 10هـ/ 16م، وإذا كان الاحترام والتبجيل الذي أبداه الأتراك العثمانيون في إيالاتهم للمرابطين نابع من تنشئتهم الصوفية بموطنهم، فما هي الطرق الصوفية التي كانوا منتسبين لها؟ وهل كانت لها امتدادات بإيالة الجزائر؟ وما علاقتها بالتواجد العثماني بالأساس؟

نتوخى في المقال منهجين تاريخيين، الأول يعتمد على التحليل؛ نهدف من خلاله إلى محاولة وضع إطار تاريخي لصعود وتطور وانتشار الحركة الصوفية بالجزائر ثم بداية انحسارها فيما بعد، وبمنهجية قائمة على الاعتماد على بعض المصادر كمذكرات الشريف الزهار والمرآة لحمدان خوجة لفهم العلاقة بين العثمانيين، المرابطين والطرقية. كما اعتمدنا على المنهج التاريخي المقارن من خلال مقارنة ما ورد في بعض المراجع المهمة لمؤرخين أتراك؛ ويتعلق الأمر بسامح إلتر وأرجمند كوران وعلي رضا باشا لفهم نفسية الوافدين الجدد تجاه الحركة الصوفية والأساليب التي استخدموها لمد نفوذهم في البلاد.

كما كانت استفادتنا على عدد من المراجع الأخرى منها كتاب الدكتور أبو القاسم سعد الله "تاريخ الجزائر الثقافي" لكونه من المراجع الأساسية التي اعتمدناها، حيث تطرق إلى وظائف وأنواع الزوايا، وأهم المرابطين وأدوارهم وطرقهم ومكان انتشار زواياهم- منها المتعلقة بالعثمانيين- في أهم نواحي الجزائر. وهي معلومات تنم عن دقة الكاتب وباعه في الموضوع، وهي مجهودات ربع قرن من البحث أثمرت هذا المؤلف الشهير. وبالإضافة إلى ذلك كان اعتمادنا على عدد من المراجع الأخرى المهمة؛ فالدكتور بوسليم أفادنا في فهم العلاقة بين الزوايا والطرق الصوفية، أما عبد القادر زبادية وعبد العزيز شهبي في آلية عمل الزوايا وتطورها التاريخي، أما مؤيد العقبي في ظهورها في مناطق الجزائر. وهذا كله رغبة في الإتيان بالجديد وتجاوزا لمجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع بشمولية وبوصف عام، فالموضوع لا يركز على إيجابيات ولا سلبيات الطرق الصوفية ولا المرابطين.

ومن ثم، نعمد في هذه المداخلة إلى التطرق لنشأة الطرق الصوفية وتطورها التاريخي، منذ الفترة الإسلامية الوسيطة بالمغرب الأوسط إلى غاية الحكم العثماني، الذي نبين فيه دور تلك الطرق في تثبيت ذلك التواجد في الجانب الغربي للمغرب الإسلامي بشكل عام، وفي إيالة الجزائر بشكل خاص، مقسمين إياه إلى ثلاثة مراحل تاريخية: الامتداد، الانتشار، الصدام. وأخيرا نختم المقال بالحديث عن موقف

العثمانيين من الطرقية والطرقيين، هل كان مجرد استنجاد بهم أم تصفية حساب تجاههم؟

1- الطرق الصوفية والزوايا، النشأة والتطور التاريخي:

من الوهلة الأولى يبدو أن مصطلحي "الطريقة الصوفية" و"الزاوية" يحملان معنى واحد، غير أنهما مترابطان جدا، سنحاول التطرق إلى تعريفهما؛ لغة واصطلاحا. ثم سنتحدث عن تطور الحركة الصوفية بشكل عام، والزوايا بشكل خاص، وكذا أنواعها وأسباب انتشارها، وهذا ما سنتطرق له في العنصر الآتي.

1-1 نشأتهما وترابطهما:

نشأت الصوفية خلال عهود متقدمة من تاريخ الإسلام، ولا شك أن هدف الصوفيين منذ البداية كان يتمثل في التعبد والورع والتنزه عن حطام الدنيا، وبهذه الصورة استطاعوا أن يلحقوا ويدرجوا الحركة الصوفية ضمن مفاهيم الإسلام (زبادية، 2010، صفحة 224). أما لماذا سميت بالطرق: "فالطريق في العربية معناه السبيل، وهي عبارة عن منهج أخلاقي يحدد عمليا ضروب السلوك الفردي، ثم أصبحت عبارة عن جملة مراسيم للتدبير الروحي المعمولة به من أجل المعاشرة في الجماعات الإخوانية، وبذلك تتمايز بينها بحسب غاياتها ومقاصدها، وقد تكون هناك الطريقة الواحدة، وإنما تختلف باختلاف الأمصار والعصور، وبالطريقة يتحقق للشيخ أن يصل بالمريدين إلى مطلوبات التصوف وهي في نهاية المطاف التحقق بالحق سبحانه وتعالى "(بوساليم، رجب 1431هـ/ جوان 2010م، صفحة 116).

أما كلمة الزاوية فهي مستمدة من الفعل "انزوى"، والتي تعني اتخاذ المرء مكانا معزولا ليتجنب مخالطة الناس أو ليحد من هذا الاختلاط حتى لا يشغل باله بشيء غير الذي يفكر فيه، ولا يلتهي بأمر غير الذي يسعى إليه كالصلاة والتسبيح والدعاء وتلاوة القرآن وقراءة الأوراد وغيرها من الأمور الدينية. أما لغة فتعني الركن أو المكان المنعزل، وتسمية الزاوية يدل ابتداء على أنها بقعة من الأرض جاءت من انزوائها بعيدا عن بقية المناطق المتقاربة من بعضها. وهي في الأصل ركن البناء، كانت تطلق بادئ الأمر على صومعة الراهب المسيحي، ثم أطلقت على المسجد الصغير أو المصلى. ولا تزال هذه

اللفظة تحتفظ بنفس المعنى عند المسلمين ذلك أنهم يفرقون بينها وبين المسجد الذي يفوقها شأنا. على أن هذا المصطلح ظل محتفظا به في شمال إفريقيا بمعنى أكثر شمولا من ذلك أنه يطلق على بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع ديني، وهي تشبه الدير أو المدرسة، التي نجد فيها جميع الأشياء الآتية أو الكثير منها: غرفة مقتصرة على تلاوة القرآن، مكتبا أو مدرسة لتحفيظ القرآن، وغرفا مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة. ويلحق بالزاوية عادة مقابر أولئك الذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها (بوساليم، رجب 1431هـ/ جوان 2010م، صفحة 199).

أما الزاوية من منظور بوتيي (Pottier) فهي مركز جمعية دينية إسلامية مسيرة من طرف مرابط مساعد من طرف عدة أعيان، ولها نفوذ على جموع الإخوان المنتسبين. معنى ذلك أنهم يجدون فيها حسن الضيافة، وحماة مكلفون بنقلهم إلى مرسى القوافل بفضل السلطة المخولة لهم من صفتهم الدينية(Pottier, 1947, p. 194) .

2-1 التطور التاريخي:

إن تطورات الحركة الصوفية أدت أنه لا يقتصر دورها على المجال الفردي الخاص بالشخص المتصوف، وإنما يتعدى ذلك إلى استلهام الكثيرين لسلوك المتصوف الخاص في التعبد واعتبار ما يصدر منه من أقوال وأفعال بمثابة الطريقة التي يجب إتباعها والاقتداء بها. من هنا تشعبت هذه الحركة التي كانت في البداية فردية وخاصة إلى ما يشبه الفئات والزوايا، ولكل منها الورد الخاص بها، وكذلك أسلوبها في التنظيم الاجتماعي والسياسي أيضا (زبادية، 2010، صفحة 224).

كما تطورت الزوايا وأصبحت لها وظيفة حربية، فأمام الضعف السياسي والعسكري للدولتين الزيانية والحفصية، وبروز الهجمات الأيبيرية على سواحل الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، لم يبقى على المرابطين سوى الاعتماد على أنفسهم في الدفاع عن الأراضي الإسلامية التي تعود إليهم، لذلك كانوا يتولون القيادة بأنفسهم ضد العدو أو يوجهونها روحيا من مراكزهم على السواحل الجزائرية، وذلك بإصدار الأوامر إلى أهالي المدن ونحوها للدفاع عن أنفسهم كموقف الولي الصالح عبد الرحمان الثعالبي (أنظر التعليق رقم 1) حين دعا سكان مدينة الجزائر وما حولها للجهاد وتوفير أدوات الحرب

واتخاذ عدة النصر، وكذلك حين راسل أهل بجاية يحثهم على الاستعداد للحرب ومقاتلة العدو، ويحذرهم من مغبة التهاون في أمر الجهاد (سعد الله، 1998م، صفحة 160). لهذا يتضح الفرق بين الرباط ذي النشاط العسكري، والرباط الذي اعتبر الزاوية ذات نشاط ديني تربوي وتعليمي في آن واحد (شهي، 2007، صفحة 16).

وبناء على ذلك، فقد كان التصوف في الرباطات التي أصبحت مراكز دينية شغل الفقهاء الشاغل قصد تقريبه إلى أذهان العامة، وأصبحت الزوايا حينئذ مراكز تستهوي قلوب الناس ومدارس دينية في آن واحد، وإلى حد ما دور ضيافة مجانية يقصدها الرحالة الذين يبحثون عن الكمال الروحي (شهي، 2007، صفحة 16).

إجمالا، ذهب بعض المؤرخين إلى أن انتشار الحركات الصوفية وأخذ الناس بها يعود سببه الأساسي إلى الخلل الذي أصاب الدولة الإسلامية في أثناء فترات ضعفها، مما جعل أمام الناس في كل ناحية الأخذ بأقوال وسلوك من يتصلون بهم من العلماء المتعبدين في مناطقهم، وذلك كي تستقيم أمورهم من الناحيتين الدينية والأخلاقية على الأقل. وقد يتجاوز الأمر هاتين الناحيتين إلى المجال السياسي أيضا، فيثور أتباع طريقة صوفية ما متضامنين للوصول إلى هدف أو الحصول على مكسب سياسي أو اجتماعي معين (زبادية، 2010، صفحة 224) مثلما سيأتي بيان ذلك في ثنايا المقال.

ولقد استغل الأتراك ذلك الضعف لتنصبهم في بلاد المغارب، مستغلين العلاقة الحسنة التي جمعت سكانها بالمرابطين، وهو ما سنتطرق له في المبحث الموالي.

2- الحركة الصوفية ودورها في تثبيت الوجود العثماني بتونس والجزائر:

اعتمد الأتراك لتثبيت نفوذهم في شمال إفريقيا الغربي الذي كان يعاني من الضعف والانحطاط على قاعدة استغلال الأفكار السياسية والدينية السائدة هناك، إلى أن غدا قاعدة لدولتهم. ولكن أدى الضعف إلى تصارع الحكومات التي قائمة هناك، لذلك حاول خير الدين بربروس استتباب الأمن والاستقرار في المناطق التي ضمها إليه، حيث شعرت الأسر الحاكمة بفقدان سلطتها في وجوده، فأسرعت وارتبطت مع الأسبان، وتزعمت الأسرة الحفصية في تونس العداء ضد خير الدين، ولهذا اتفقت مع ملك

إسبانيا ضد المرابطين سعيا منهم لعزل الأتراك، لأنهم كانوا مؤيدين لهم (إلتر، 1409هـ/ 1989م، الصفحات 108- 109).

ناهيك عن ذلك، ساعد هؤلاء لجعل تنصيبهم وفرض وجودهم في المغرب الكبير مقبولا لدى الناس؛ ازدياد نفوذ الطريقة القادرية من خلال زواياها الكثيرة، حيث حصلوا على احترام الجميع، خاصة في المناطق الخاضعة للسيطرة الإسبانية، التي استخدم فيها الغزاة الظلم والاضطهاد ضد السكان المسلمين عامة، والعلماء والشيوخ خاصة، مما زاد من تمسك أهالي تلك المناطق بالرباط الديني، زيادة على الدعم المادي والمعنوي الذي قدمه شيوخ تلك الطريقة لهم، باعتبار أن الجهاد هو الوسيلة الرئيسية لطرد المعتدين. وبعد إتباع الأتراك لهذا الأسلوب "تمكنوا من توجيه الأحداث لصالحهم"، غير أن الحكومة المركزية ونظرا لتخوفها من اتساع نفوذ القادرية وكثرة مؤيديها واتساع نفوذ أنصارها في مختلف المناطق، حاولت إحداث فتنة في داخل الزاوية، ولمواجهة ذلك قام الوافدون الجدد بعقد اتفاقات مع الحكومات الصغيرة والأهالي المعادين للسلطة المركزية ضد القبائل المرتبطة مع الأسبان، مركزين على طردهم وتحرير السواحل الإفريقية، مما دفع الأهالي والمرابطين للالتفاف حولهم، وتقديم كل ما لديهم من مال ورجال لهم (إلتر، 1409هـ/ 1989م، الصفحات 107- 108).

كما عرفت زوايا أخرى إشادة من المؤرخين لمواقف شيوخها المؤيدة للثورات ضد الهجمات الإسبانية على السواحل الجزائرية، حيث تحولت مقراتها كملاجئ للمجاهدين ومراكز لاجتماعاتهم ومأوى يلجئون له في كل ما يحتاجون إليه. ينقل مؤيد العقبي عن العلامة أبي حامد العربي المشرفي المعسكري (أنظر التعليق رقم 2) أن زاوية الشيخ محمد بن علي المحاجي أبهلول الواقعة نواحي تنس كانت "زاوية ومدرسة ورباطا"، وكانت مركزا لمن يجاهدون في سبيل الله، بل كان بنفسه مساهما ومشاركا فعالا في الجهاد باستقباله حوالي 300 مجاهد خرجوا لقتال الغزاة الأسبان بثغر تنس، كانوا جياعا مروا بالزاوية "فأطعمهم جميعا حتى شبعوا" (العقبي، 2002، صفحة 308).

مما سبق يمكن القول أنه ومع حلول الأتراك بشمال إفريقيا وجدوا الظروف مهيئة، من ضعف سياسي من الدول القائمة، وأطماع خارجية، واستنجاد بالعدو،

لذلك وجدوا القبول لدى الناس، ومن المرابطين والمتصوفة الذين كانوا من المبادرين لإعلاء راية الجهاد، خاصة مع شيوع بعض طرقهم الصوفية، ونخص بالذكر القادرية التي عقدت شبه تحالف معهم، ساعدها على ذلك انتماء بعض حكامهم لها. هذا ما دفعهم على الأرجح لتشجيع أهل التصوف عامة في أثناء تثبيت أركان دولتهم، بخلاف بعض الطرق الأخرى التي تمردت عليهم، خاصة في أواخر فترات حكمهم، وهذا ما سنتطرق له في حديثنا عن الصدام الذي وقع بينهم.

3- حركة التصوف إبان العهد العثماني:

حافظ حكام الجزائر في العهد العثماني على بعض التقاليد الإدارية التي كانت سائدة في الفترة الإسلامية السابقة نظرا لملائمتها لأوضاع البلاد وتماشيا مع الحالة الاجتماعية المعروفة آنذاك بالأرياف والحواضر، فمن هذه التقاليد المتوارثة عن بقايا الإدارة الزيانية والحفصية سلطة شيوخ القبائل ورؤساء العشائر، والاعتراف بنفوذ ومرابطي الطرق والزوايا، والإبقاء على أراضي المخزن الخاضعة وأراضي السيبة الممتنعة (سعيدوني، 1984م، صفحة 72). ولقد أرجع حمدان خوجة ذلك إلى إدراك الإدارة التركية أن قوة القبائل لا تقهر وإيقانها أنها لن تتمكن من إخضاعهم بحد السيف، فمنذ بداية العهد كان العثمانيون يطمئنون إلى المرابطين أكثر من غيرهم، فيلجئون إليهم ويتبركون بهم ويطلعونهم على خططهم مما يدل على الثقة المتبادلة بين الطرفين، حيث اعتمدوا لتحقيق ذلك على أسلوب "اللطافة والتسامح والإرادة الحسنة التي أسفرت عن نتائج مرضية تتمثل في بقاء الحكومة مدة تزيد عن ثلاثة قرون" (حمدان، 2005، صفحة 89). فما هي الإرهاصات الأولى لبدايات الصوفية في المغرب الأوسط، وانتشارها مع مجيء الحكام الجدد، ثم تصادمهم مع بعض طرقها أواخر عهدهم بإيالة الجزائر .

3-1 الامتداد (القرن 12م إلى العقد الثاني من القرن 16م):

ظهرت الطرق الصوفية بالمغرب الإسلامي على الأقل منذ القرن 6هـ/ 12م، حيث كان الشيخ أبو مدين الغوث (التعليق رقم 3) دفين تلمسان سنة 589هـ/ 1193م وقيل 594هـ/ 1198م أول من نشر الطريقة القادرية بربوعه، بعد أن اجتمع بالشيخ عبد القادر الجيلاني (التعليق رقم 4) بمكة المكرمة "وأكمل سلوكه الصوفي على يديه بعد أن

ابتدأه على يد الشيخ أبي بعزي المغربي". ولقد واصلت القادرية انتشارها بمصر حين استقر أحد أبنائه بها وهو الشيخ عيسى، كما نشرها ذرية ولديه إبراهيم وعبد العزيز حين هاجروا من الأندلس وفاس "بل قيل إن بعضهم انتقل مباشرة إلى الشرق الجزائري" (مفتاح، 1408هـ/ 1987م، صفحة 13).

أما الزوايا فظهرت في القرن 8هـ/ 14م مثلما جاء في بعض الروايات، وينقل العقبي أن الملك المريني أبا عنان فارس بن علي (1329- 1358)م أسس زاوية خارج مدينة سلا، وأخرى دفن فيها والده أبا الحسن بالرباط عرفت بزاوية "شالة" كتلك التي أسسها الملك الموحدي أبا يوسف يعقوب المنصور (1160- 1199)م بدار الضيوف تحدث عنها الرحالة بن بطوطة (1304- 1369)م في رحلته. ويضيف أنه ورد في "عنوان الدراية" للغبريني (الغبريني، 1979م) لفظ "الزاوية" في ترجمته للعلامة أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القرطبي المتوفى سنة 661هـ/ 1263م، ما يؤكد وجودها ببجاية في ذلك التاريخ (العقبي، 2002، الصفحات 302- 303).

بالعودة إلى بدايات الحركة الصوفية، كان للمؤرخ التركي عزيز سامح ألتر وجهة نظر أخرى، حين أرجع ظهور المرابطين في بلاد المغرب الإسلامي إلى مطلع القرن 16م عندما احتل المسيحيون الغزاة بعض مناطقهم، من غير أن يشير بقصده من هؤلاء، زعماء الطرق الصوفية أم المدافعين على السواحل؟ مقسما إياهم إلى صنفين:

-الصنف الأول: كان غالبيتهم من السكان المحليين، لكن وحسب نفس المؤرخ "لا أحد يعلم كيف جاؤوا، ولا من أين؟" مرجحا قدومهم من الناحية الغربية، وأن قسما منهم "حسب معلومات غير مؤكدة" جاء من داخل الأندلس. ولقد وصف تشكيلاتهم بغير المنظمة، وغير المترابطة، وبالفردية. ولقد احتل هؤلاء مكانة سياسية في بلاد المغرب، "وغدوا حماة للدين الإسلامي والأتراك في شمال إفريقيا". لأنهم كانوا يدركون جيدا أن الأتراك مسلمون، وحماة جدد للإسلام، لذلك وقفوا بجانبهم ودافعوا عنهم (إلتر، 1409هـ/ 1989م، صفحة 107).

وعليه، إن حركة التصوف في العهد العثماني تعتبر امتدادا للحركة التي قبلها بعدة قرون، وأن معظم المتصوفين وغيرهم قد ظهروا قبل العهد المذكور، فعلى مستوى

المغرب الكبير نذكر منهم علاوة على أبي مدين، أبا الحسن الشاذلي وابن مشيش وأحمد زروق وغيرهم. أما على مستوى الجزائر فقد كثرت أعداد المرابطين وأهل الزهد ورجال التصوف كثرة تلفت النظر قبل مجيء العثمانيين كحفيد عبد الرحمان الثعالبي ومحمد الهواري وإبراهيم التازي وأحمد أفغول ومحمد بن شعاعة ومحمد التواتي البجائي. فالحركة الصوفية سواء كانت على مستوى العالم الإسلامي أو على مستوى بلاد المغرب أو الجزائر قد عرفت قبل مجيء الأتراك، لكنها ستزدهر أكثر في أيام حكمهم (سعد الله، 1998م، صفحة 459).

-الصنف الثاني: كانوا من أصحاب الطريقة القادرية، حيث "كانت أسس طريقتهم شبيهة بالطريقة الشاذلية". وتنسب إلى العالم والفقيه عبد القادر الجيلاني، دخلت إلى إفريقيا قبل دخول الأتراك بزمن مبكر، ومعظم شيوخها علماء وأطباء، وأن النفوذ الذي تمتعوا به لم يكن مضرا بالحكومات القائمة آنذاك. ولقد وجدت لها مراكز في تونس والجزائر وقسنطينة وفاس... ومن أهم مريديها عبد الرحمان الثعالبي وعبد الكريم المكحيلي اللذان نشراها بين السكان وفي المناطق الساحلية، ثم قام التجار والمبشرون بنقلها إلى مختلف المناطق التي حلوا بها حتى بلغوا بها السودان (إلتر، 1409هـ/ 1989م، الصفحات 105- 106).

من الأهمية القول كذلك أن مرد ازدهار الحركة الصوفية في العهد العثماني وانتساب الأتراك لها، يعود إلى تكوينهم الديني والنفسي والحربي وفي كونهم من أتباع الطرق الصوفية؛ فالطريقة البكداشية كانت منذ ظهورهم تقودهم كما كانت تقود الإنكشاريين وتؤثر فيهم وتحميهم وتدفع بهم إلى الجهاد والمغانم، وتبارك أعمالهم فكانوا يدينون لرجالها بالولاء ويتبركون بهم وينظرون إليهم نظرة المريد لشيخه والسيد لسيده (سعد الله، 1998م، الصفحات 459- 460)، ثم تعددت الطرق الصوفية وتأثيراتها عليهم كالطريقة القادرية من ذلك أنهم انتهزوا فرصة الدعم الذي كانوا يجدونه لدى شيوخها، ألم يكن سليمان القانوني وأبوه سليم من أتباع هذه الطريقة؟ (كوران، 1972، صفحة 4). ومنذ انتساب السلطان سليم لهم "غدا محبوبا من جميع القادرين في العالم الإسلامي"، كما حصلت تلك الطريقة على نفوذ كبير، ولقد حاول ابنه إتباع نفس

السياسة التي يهدف من ورائها ترأس العالم الإسلامي (إلتر، 1409هـ/ 1989م، الصفحات 104- 105).

وجدير بالذكر أنه، حين استقر الأتراك وأصبحت الجزائر إيالة تابعة رسميا للدولة العثمانية، كان زعيم الطريقة القادرية يسمى أحمد بن يوسف، ولقد تمكن شيوخها في ظرف وجيز من "إيجاد ضمان وسند سياسي"، فقد ارتبط خير الدين بربروس مع المرابطين والعلماء بعلاقات طيبة وقربهم إليه، حيث اتخذ منهم مستشارين له فيما يتعلق بالأوضاع الداخلية للبلاد. بل حتى أن الإنكشاريين قد أحبوا العلماء والمرابطين ووجد منهم من حمل لقب "مرابط" (إلتر، 1409هـ/ 1989م، الصفحات 107- 108). كما عرفت بعض المدن الساحلية نفس الطريقة، ففي غرب البلاد مثلا وجدت القادرية بوادي الخير نواحي مستغانم لشيخها بن الأحول (العقبي، 2002، صفحة 317).

كما غدا الساحل الشرقي لشمال إفريقيا منذ مطلع القرن 16م مركزا رئيسيا للقوافل التجارية المشبعة بالقادرية، فنقلتها إلى سكان المناطق الجبلية العالية من جبل عمور، ساعدهم ذلك على تمديد نفوذهم حتى السودان وشريط درعة والريف وفاس... أما تلمسان فقد اتبع حكامها الطريقة الشاذلية التي شملت قسما من إسبانيا والريف ومراكش وسوسة، ولكنها لم تعرف الانتشار في المغرب الأقصى إلا بشكل محدود (إلتر، 1409هـ/ 1989م، صفحة 106).

وإذا كان الجيش الإنكشاري متأثرا ببعض الطرق الصوفية بالأناضول منها الطريقة البكداشية، فإن طائفة رياس البحر تأثروا بالأولياء الصالحين بإيالة الجزائر، فقد كانوا لا ينطلقون في غزواتهم البحرية إلا بعد زيارة ضريح الولي الصالح عبد الرحمان الثعالبي للتبرك به مرددين:

"يا لاسا ! يا لاسا ! خرجت ليلة من الجزاير

يا لاسا ! يا لاسا ! بحر كبير أو ريح فجيع أو عقلي مخبل"

كما كانت سفنهم لا تنطلق إلا بعد تمركزها في اتجاه الضريح وتحية الولي "سيدي بتقة". بل إنهم كانوا "يصطحبون معهم رايات بعض الأولياء الصالحين وينصبونها فوق سفنهم كلما شعروا بالخطر". ولقد ذهب البعض أن الولي الصالح الحامي لطائفة

الرياس كان يدعى "سيدي إبراهيم البحري"، الذي"كان قبلة أيضا لكل المتوجهين إلى البقاع المقدسة" (غطاس، 2012، صفحة 124).

لقد نال "ولي داده" كذلك القدسية حتى من الأتراك أنفسهم، حيث ينقل علي رضا باشا بن حمدان خوجة الرواية التي تناقلها أهالي المدينة عن هذا الولي الصالح واستنجادهم به في بداية الهجوم الكبير لملك إسبانيا شارلكان (كارلوس الخامس) في أثناء حملته الضخمة على مدينة الجزائر سنة 1541م في قوله "ذهب [الولي] المذكور إلى الشاطئ وضرب سطح البحر بدبوسه، وفجأة بدأت العاصفة المذكورة، واصطدمت السفن ببعضها البعض واختلطت فيما بينها، وبدأت تغرق (...) وصار الجنود [الإسبان] بصورة عامة يغرقون بسبب المطر، وبتلك الصورة انهزموا وهلكوا" (رضا باشا، 1442هـ/ 2021م، صفحة 91). بل يعود في موضع آخر ويقر بأن لعنة هذا الولي حلت على الجنرال الدوق روفيغو (Duc de Rovigo) عندما كان يتأهب لإصدار الأوامر بهدم ضريحه لشق الطريق، فانتفخ لسانه وكبر حجمه ولم يستطع إدخاله في فمه، فعزل عن منصبه وتوفي بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى فرنسا ليرى نتيجة لذلك "سوء عمله" (رضا باشا، 1442هـ/ 2021م، الصفحات 177- 178).

هذا، وتضمن النظام السياسي والاقتصادي الذي وضعه الأتراك، فضلا عن تعيين أمين يوكل له مراقبة أعضاء حرفته، ورئيس يشرف على كل هؤلاء الأمناء يسمى "شيخ البلد" أو "والي المدينة"، وجد في كل مدينة حاكم ثان يتم اختياره من الأسر الشريفة التي تنتمي لأحد المرابطين ويسمى بـ "نقيب الأشراف" وواجبه عند حدوث أمر مهم، يجتمع في بيته شيخ البلد وسائر الأمناء التابعين له للبحث عن الوسائل والتدابير التي وجب اتخاذها (حمدان، 2005، صفحة 87).

2-3 الانتشار (العقد الثاني من القرن 16- بداية القرن 19)م:

كانت الزوايا مع مجيء العثمانيين عبارة عن رباطات أو نقط أمامية ضد الأعداء كما أسلفنا، حيث يؤكد الدكتور سعد الله أن المرابطين كانوا يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية، وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع الأمراء المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد، وعلى هذا النحو تحالف بعضهم مع العثمانيين وقدموا

لهم المساعدات الأساسية؛ فجندوا من ورائهم الشعب، وجمعوا لهم المؤن والمعدات، ورفعوا الروح المعنوية للمحاربين، ولكن الدوافع الجهادية كانت تضعف بالتدريج بعد القضاء على الخطر الخارجي الداهم، فعاد المرابطون إلى قواعدهم وكانوا على صلة بالشعب أكثر من صلتهم بالسلطة العثمانية، وكان على الأخيرة أن تؤيد المرابطين بالعطايا السخية، والإعفاء من الضرائب حتى لا تضعف الرابطة بينهما (سعد الله، 1998م، صفحة 267).

وفي هذا الإطار، يضيف كذلك أنّ من خصائص هذا العهد انتشار الطرق الصوفية وكثرة الزوايا المخصصة لها والمذاهب الصوفية، فإذا ما اشتهر أحد المتصوفين بين الناس أسس لنفسه مركزا يستقبل فيه الزوار والغرباء والأتباع، ويُعلم الطلبة طريقة أستاذه في الأذكار، ويتبرع الناس لهذا المركز فيكبر ويثرى ويتضاعف مؤيدوه ويصبح اسم المتصوف (المرابط) علما على المكان، ويصبح يدعى بين الناس "زاوية سيدي فلان". وإذا مات سيدي فلان يدفن في الزاوية أو الرباط، ويصير الضريح علامة على الزاوية، ويرث الأبناء والأحفاد مكانته، وتزداد قداسة الزاوية أو الرباط بين أهل الناحية، وتنتشر سمعتها ونفوذها إلى نواح أخرى بعيدة وهكذا (سعد الله، 1998م، الصفحات 262- 263).

ومن هذا المنطلق، يعتبر العقبي أنه ومع حلول القرن 18م عرفت الزوايا انتشارا واسعا مقارنة بالسابق، وأصبحت مؤسسات ذات صبغة تربوية وتعليمية تسهر على تربية المريدين وتنشئتهم، كما عملت على نشر التعليم العربي الإسلامي وبث مكارم الأخلاق، ومحاربة الجهل والأمية والآفات الاجتماعية التي كانت السبب المباشر في ضعف المسلمين وتأخرهم وانحطاطهم (العقبي، 2002، صفحة 304).

كان مجال انتشار تلك الزوايا عم كل جهات البلاد، وخاصة في غربها ووسطها. كما عرفت منطقة القبائل الكبرى والصغرى انتشارا كبيرا لها، خصوصا بعد خروج الكثير من أهلها من بجاية بعد الاحتلال الإسباني لها (العقبي، 2002، الصفحات 305- 306).

أما في مدينة الجزائر فقد وجدت قائمة طويلة لها، فمنها لأولياء صالحين مثل زاوية عبد الرحمان الثعالبي التي أمر ببنائها باشا الجزائر الحاج أحمد بن المصلي (أنظر

التعليق رقم 5) سنة 1108هـ/ 1696م. وزاوية ولي داده وزاوية عبد القادر الجيلاني وزاوية سيدي محمد الشريف. كما عرفت بالمدينة بعض الزوايا الأخرى مثل زاوية سيدي أحمد بن عبد الله الزواوي صاحب المنظومة الجزائرية من أبناء القرن 9هـ/ 15م، الذي أسست زاويته سنة 1031هـ/ 1622م لتقوم بتحفيظ القرآن وتعليم الكبار مع احتوائها على مصلى لإقامة الصلوات الخمس، وبيوت للعلماء، وتقع بسوق السمن في الجهة السفلى من نهج باب الجديد. كما وجدت زاوية سيدي بن عبد الرحمان الأزهري التي بنيت بالحامة سنة 1206هـ/ 1792م في عهد الداي حسن باشا (أنظر التعليق رقم 6) المدعو بابا حسن (العقبي، 2002، صفحة 312).

أما في النواحي المجاورة لمدينة الجزائر تواجدت زاوية القليعة، وزاوية المربوسي بالأربعاء، وزاوية خير الدين ببني موسى، وزاوية البركاتي قرب شرشال وغيرها. وفي مدينة قسنطينة ونواحيها قائمة طويلة أخرى بلغت حسب بعض الإحصاءات 16 زاوية فهناك زوايا وخلوات سيدي الكتاني، وسيدي المناطقي... الخ. كما كانت للعائلات الكبيرة في المدينة زواياها الخاصة مثل زاوية أولاد الفكون، وزاوية ابن نعمون، وزاوية أولاد جلال. وكانت هناك زوايا خاصة بالأتراك والكراغلة مثل زاوية رضوان خوجة الذي كان قائد الدار، والذي بنى الزاوية بنفسه ودفن فيها بعد وفاته سنة 1220هـ/ 1805م. أما في نواحي المدينة اشتهرت زاوية خنقة سيدي ناجي، وزاوية بني بومسعود، وزاوية مولاي الشقفة بين جيجل والقل (سعد الله، 1998م، الصفحات 263- 265).

تجدر الإشارة إلى أن زاوية بن نعمون هي لأسرة تنحدر من سلالة بايات قسنطينة أين كانوا يدفنون بها، وكانت تقام الصلوات الخمس وتلقى بها الدروس وتؤدى فيها الجمعة. كما وجدت بذات المدينة زاوي باش تارزي لمؤسسها الشيخ عبد الرحمان بن احمد بن حمودة بن مامش المعروف بباش تارزي (العقبي، 2002، صفحة 315).

لقد اشتهرت أيضا تلمسان ونواحيها بزواياها وأضرحتها؛ نذكر منها زاوية سيدي بومدين، وزاوية محمد السنوسي، وزاوية أحمد الغماري... إلخ. ومما يذكر أن حسين باي الغرب قد أوقف سنة 1173هـ/ 1759م وقفا على زاوية مولاي الطيب الوزاني حين اشترى لها دارا بستين مثقالا ذهبا. وفي سنة 1174هـ/ 1760م بنى الباي إبراهيم المليانى بأمر

باشا الجزائر علي باشا (1754- 1766)م (أنظر التعليق رقم 7) ضريحا للولي محمد بن علي حفيد الولي عبد الله بن منصور. كما جدّد الباي مصطفى المانزالي ضريح الأخير سنة 1218هـ/ 1803م (سعد الله، 1998م، صفحة 265). وتعتبر زاوية القيطنة الواقعة على وادي الحمام قرب مدينة معسكر أشهر زوايا الطريقة القادرية التي أسسها الحاج مصطفى الغريسي حوالي سنة 1200هـ/ 1786م بعد زيارته لضريح الجيلاني ببغداد في أثناء ذهابه للحج "وإجازته من طرف رئيس شيوخ القادرية بها"، ولقد تولى أمر الزاوية بعد وفاته ابنه محي الدين والد الأمير عبد القادر (مفتاح، 1408هـ/ 1987م، الصفحات 13- 14).

وتعتبر زواوة وبجاية من أغنى مناطق الجزائر بالزوايا وصلت إلى 50 زاوية، وليس غرضنا هنا ذكر قائمة لها، ولكن تلميحا إلى انتشارها الكبير في غالب مناطق الجزائر، وخاصة في الجهتين الوسطى والغربية من البلاد. لكن، هل عرفت كل تلك الطرق والزوايا التوافق مع التواجد العثماني طوال تاريخه أم تمردت أخرى عليه، وهو ما سنتطرق له في العنصر الآتي.

3-3- الصدام (بداية القرن 19 إلى 1830م):

تعامل الأتراك منذ بداية العهد حيال المرابطين بحكمة وذكاء وبصلة قائمة على التفاهم ليتجنبوا عداء القبائل التي ينتسب بعضهم لها، "على الرغم من عدم اقتناع الأتراك بذلك". ولقد أكسبهم ذلك احترام وتقدير هؤلاء المرابطين، الذين قدموا لهم خدمات جلية، وبالتالي وقف الغالبية الكبرى من الناس إلى جانبهم، وتمكنوا مع مرور الوقت من "الحصول على مساعدات معنوية وسرية" ساعدتهم في تعميق نفوذهم في شمال إفريقيا. لكن، وحسب عزيز إلتر دائما ونظرا لأن خلفاء سليمان القانوني لم يكونوا على نفس الطريقة القادرية مثله مثل والده سليم، بدأ أتباعهم في "الغياب عن الساحة تخوفا من إنزال ضربة قاصمة بهم"، بعد انحسار نفوذهم مقارنة بمطلع القرن 16م (إلتر، 1409هـ/ 1989م، صفحة 107).

لقد تميز التواجد العثماني في القرون الأولى بالاستقرار في مجمله، حيث لم ينشغل الناس بالصراع على الحكم، كما لم تفصل المصادر كثيرا في قيام ثورات على

السلطة المركزية بإيالة الجزائر، فمن تلك التمردات ما وقع حسب نفس الكاتب في عهد خسرو باشا (أنظر التعليق رقم 8) المتولي للحكم سنة 1034هـ/ 1624م، والذي تميز بالشدة والغلظة تجاه الإنكشارية والرعية، حين جهز حملة واتجه بها نحو مناطق قسنطينة وألزم القبائل والأهالي بدفع الضرائب بعنف شديد، ولقد تمكن في حملته من تعميق النفوذ العثماني في تلك النواحي، بعدما كاد يتلاشى. ولقد حاول سكان إمارة كوكو قطع الطريق عليه لكنه انتصر عليهم. وعند عودته وبتحريض من أحد المرابطين أعلن سكان تلمسان العصيان، فأرسل لهم قوة مكونة من 1200 انكشاري مع قسم من المحليين، وتمكن من إخماد ثورتهم، وألقى القبض على زعمائهم وصلبهم وملأ جلودهم بالتبن، وأرسلهم إلى مدينة الجزائر للتمثيل بهم (إلتر، 1409هـ/ 1989م، الصفحات 333- 334).

وجدير بالذكر، أن غرب البلاد عرف أواخر العهد العثماني عدة ثورات للتمرد على السلطة المركزية، لعل أهمها ثورتا الطريقتين الدرقاوية والتيجانية، اللتان كانتا حسب أرجمند كوران تحت حماية ملوك المغرب الأقصى (كوران، 1972، صفحة 6).

1-3-3 ثورة الشريف الدرقاوي:

بدأت في عهد الداي مصطفى باشا (1797- 1805)م (ر التعليق رقم 9) ثورة بن عبد الله بن الشريف الدرقاوي في ناحية وهران، ولقد حمّل حمدان خوجة حكومة الأتراك مسؤولية قيامها بدعوى أن تعيين مصطفى باي وهران كان من طرف الخزناجي مقابل تقديم الأول مبالغ ضخمة من المال. ولقد أسفرت على الاستيلاء على معسكر بعد حصار قصير، ثم السير إلى وهران وحصارها (حمدان، 2005، صفحة 130). ويصف لنا الشريف الزهار هذه الثورة قائلا:"وبعد ما تولى مصطفى باي أمر وهران، ظهر ابن الشريف، وكاتب العرب في أمر القيام على الترك وادعى انه صاحب الوقت واتبعه العرب، وسارت اليه القبائل، وظهرت له كرامات. ثم إن الباي خرج من وهران في محلة كبيرة وقصد ابن الشريف (...) فلما التقى الجمعان ووقع القتال انهزم عسكر الباي ورجعوا هاربين (...) إلى أن دخل وهران وغلق الأبواب (...) والثائر بعد ان اخذ المحلة، وفر الباي، تبعته العرب من تلمسان إلى مليانة بل إلى متيجة، حتى إن أهل تلمسان افترقوا فريقين،

وصار بعضهم يقاتل بعضا، فالحضر يقاتلون من البلد، والكلغلار [الكراغلة] يقاتلون من المشور مع الأتراك، يضربون الحضر (...)" (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 84).

ولما بلغت مسامع الداي مصطفى باشا أنباء هذه الثورة "اخرج محلة من الجزائر، واخرج معها وزيره الحاج علي آغا قاصدا ناحية وهران" لكنها فشلت في القضاء عليه "وبقي الأمير متحيرا من ذلك، وانقطعت الطرق، ووقع الغلاء في الحبوب في المدن وغيرها (...)" (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 87).

على أن حمدان خوجة أكد أن الحكومة ولضبط أمرها عينت بايا جديدا "قوي النفوذ في أوساط الشعب وله علاقات ودية وروابط قرابة مع مختلف المشائخ. وبالإضافة إلى ذلك، كان ابنا لابن قارة محمد الذي انتزع وهران من الإسبانيين" (حمدان، 2005، صفحة 131). وأرسل الداي الباي الجديد "(...) وركب البحر وذهب لوهران (...) ثم (...) كتب للمخزن القديم وكتب لكبراء العرب، واخبرهم بقدومهم وبذل لهم الأموال ثم جهز محلة خيمت خارج البلاد، وبذل العطاء للصادر والوراد، واجتمعت الناس عليه (...) فوقعت قتالات بين الباي المقلج، وبين الدرقاوي، ومات من العرب عدد لا يحصى (...) ثم أن الدرقاوي هرب الى عمالة الغرب والباي ومحلته (...) وصلوا مليانة، وأطاعته البلاد، واستقر له الأمر، ثم رجع لوهران" (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 87). وهو ما أكده حمدان خوجة الذي ذكر أن الثورة انتهت بهزيمة المتمردين وتشتيتهم (حمدان، 2005، صفحة 131).

2-3-3 ثورة التيجاني:

بدأت ثورة محمد التيجاني في عهد الداي حسين باشا (1818- 1830)م (أنظر التعليق رقم 10) وبالضبط سنة 1242هـ/ 1827م، قيل أن أباه كان رجلا صالحا أصله من المغرب، وقيل من قرية عين ماضي قرب الأغواط، ذهب لفاس أيام سلطان المغرب مولاي سليمان وبها أنشأ زاويته، فكان له مريدون يلقنهم الذكر، وبها دفن أين يتواجد ضريحه، الذي أصبح مزار الناس. أما أولاده محمد واحمد فبقوا بعين ماضي، ولما كبروا "كانت لهم الطاعة على عرب الصحراء وكثر المريدون بفاس، وكانت لهم كثرة كبيرة بتونس" (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 159).

أما عن أسباب هذه الثورة فيحمّل الشريف الزهار هو الآخر الأتراك مسؤولية قيامها، ويضيف أنه لما أراد محمد التيجاني الذهاب للحج على طريق الصحراء أمر حسين باشا باي قسنطينة باعتراضه عند قدومه وإيقافه، حيث "كان ملوك الترك يخافون منهم ان يثور عليهم لكثرة أتباعهم من العرب"، لكنهم لم يتمكنوا من ذلك. وعندما رجع من الحج "ظهر له ان ينزع الملك من ايدي الاتراك، فجمع عرب الصحراء، وجيش جيشا، وجعل يدا مع حشم غريس (...) وبايعوه سرا"، فلما وصل إلى غريس واستولى على بعض جهات معسكر، حاول الباي استمالة كبراء تلك النواحي للتخلي عنه، وخرج هو بمحلته من وهران، ففر العديد من أتباع التيجاني الذين أتوا معه، ولم يبق معه إلا 300 من زكور ثبتوا معه بقتال شديد، وهو معهم، إلى أن قتلوا عن آخرهم "فقطعوا رؤوسهم وفرقوها على المدن لكي يعتبر الناس"، ثم بعثوا برأس وسيف قائد الثورة لمدينة الجزائر، ووضعوه في عمود وصلبوه قبالة الباب الجديد، وعلقوا الرؤوس الأخرى حوله". ويصف الزهار ابتهاج الأتراك بقتله للخوف الذي حملوه في نفوسهم منه في قوله: "ولكثرة ما كان الأتراك يخافونه، بعثوا للسلطان محمود يبشرونه بقتله، وبعثوا له سيفه والحجب التي كانت معه واحتوى الباي على أثقال التيجني وأمواله" (الشريف الزهار، 1974م، الصفحات 159- 160).

4- العثمانيون والطرقية، استنجاد أم تصفية حسابات؟

تعامل الأتراك مع رجال الطرق الصوفية في بداية عهدهم باحترام شديد نابع من إيمانهم وتكوينهم الصوفي، فانتشرت الزوايا انتشارا واسعا كما سبق بيانه، فكيف كان اعتقاد ونظرة الحكام إجمالا للزوايا والمتصوفين؟

كانت بعض الزوايا والأضرحة في العهد العثماني مأوى يلجأ إليها الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمهم ولو تعلق الأمر بالحكام العثمانيين، كما كانت مكانا لدفن البعض منهم. وقد يقع استنجادهم بالمرابطين في أحيان كثيرة لإخماد بعض الثورات.

أما عن حوادث الهرب فكان الولاة العثمانيون والعامة يعتقدون في حصانة حمى الزاوية، ويكفي أن يهرب الجاني إليها فلا يلحق به أحد ولا يمسه سلطان، فقد وقعت

حوادث الفرار إلى زاوية الولي داده وزاوية القليعة وغيرها سواء من الولاة أنفسهم أو من عامة الناس، ولا شك أن ذلك كان يدخل في عقيدة الناس في صلاح الأولياء وقدرتهم على تسليط غضبهم على ما يهين حماهم. وكان الثوار في نواحي قسنطينة لا يمسون من يلجأ إلى زاوية معمرة الواقعة في أراضي أولاد عبد النور، وكان محي الدين والد الأمير مقدم الطريقة القادرية (زاوية القيطنة) يصف زاويته بأنها كمقام إبراهيم الخليل من دخلها كان آمنا (توفيق المدني، 1382هـ/ 1963م، صفحة 271).

ممن شملتهم حوادث الفرار كذلك بعض الدايات، فهذا الداي أهشي مصطفى (1112هـ/ 1700م) أدركه فرسان الداي الجديد حسن خوجة (1705- 1707م) لما فر إلى القليعة، وعند وصوله إلى عتبة باب ضريح الولي الصالح سيدي علي مبارك (ت 1040هـ/ 1631م)، لمحه أحفاده، الذين أساء التصرف معهم فيما مضى فأغلقوا باب الضريح عليه وتركوه بالخارج، فخُنق في مكانه ودفن في ذلك الموضع (ابن المفتي، 2009، صفحة 70).

وهذا الداي مصطفى باشا (1797- 1805)م الذي تعرض لثلاث محاولات اغتيال فشلت، وفي المحاولة الأخيرة ثار عليه أحد الكتاب الأربعة يدعى أحمد خوجة، فلما "خرجا [مصطفى باشا والخزناجي] من دار الإمارة هاربين إلى ضريح الولي الصالح سيدي ولي دادة العجمي، وجدا ان باب الزواية قد اغلق، عندما بلغ القائمين عليه أمر الهرج، فرجعا (...)" غير أنهم تمكنوا من اغتياله في زنقة فرن الزناكي، أما الخزناجي فبين جامع وحمام كتشاوة (الشريف الزهار، 1974م، الصفحات 80- 82، 89) سنة 1220هـ/ 1805م.

لقد بلغ نفوذ المرابطين أن كانت السلطة العثمانية تطلب توسطهم في إخماد بعض التمردات على السلطة المركزية بدار السلطان أو على مستوى البايلكات فمنها مثلا: تمرد أهل مزاية في عهد الداي أحمد باشا (1805- 1808)م المذكور الذي خلف نظيره المقتول مصطفى باشا، على محلة قتلوا على إثرها العديد من عساكر الجيش الإنكشاري 'فبعث الآغا الى سيدي محي الدين بن سيدي علي بن مبارك. فتوسط" (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 95)، ومحي الدين الصغير بن المبارك أو كما كان

يدعى أصبح خليفة الأمير عبد القادر في مليانة بعد استيلائه عليها سنة 1835م، محاولة منه لتوسيع دائرة نفوذه التي شملت جزء كبيرا من إقليم التيطري.

يفيدنا الأرشيف العسكري بفانسان أن سيدي علي مبارك كان "آغا سابق لبوشقوف"، وأنه وصل مع "الملازم الأول عبد القادر، إلى مليانة مع ستمائة فارس".

« Sidi Ali Embarek, ex Aga de Bouchakov, lieutenant Abdelkader vont à Miliana avec six cent hommes de cavaliers » (Défense, septembre- octobre 1835)

يبدو أن وصف الدرجة العسكرية "الملازم" بحق الأمير، يؤكد المكانة التي يتمتع بها هذا المرابط حتى ممن عينه فيما بعد خليفته على مليانة، ومن المرجح جدا أنه بن المرابط الشهير سيدي علي المبارك الذي وجدت زاوية باسمه في القليعة مثلما سبقت الإشارة إليه (العقبي، 2002، صفحة 313).

رغم استنجاد السلطة بالمرابطين كما سبق بيانه، يفيد الشريف الزهار أن الداي أحمد باشا نفسه، ومن كثرة سفكه للدماء "من غير شرع" قام بقتل أحد رجال الطريقة القادرية مع ابنه ويتعلق الأمر بالشيخ بن سحنون، حيث وصفه بأنه "كان كبير أعراب البادية" وأنه كان "خديم الصالحين وخصوصا الشيخ عبد القادر نفعنا الله به"، وأن السبب في قتله يعود لشراء هذا الداي بستانا منه (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 99).

أما عن حالات دفن الولاة العثمانيين، فهذا الداي الحاج احمد آغا المصلي الذي سبق ذكره المتوفى سنة 1109هـ/ 1697م دفن على يمين الداخل لقبة الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي (ابن المفتي، 2009، صفحة 58). ولما قتل الداي دالي إبراهيم باي الدولاتلي (1122هـ/ 1710م) أعلى قصره دفن قرب سيدي الكتاني في الجزء الذي بجانب سيدي يعقوب "قريبا من السبعة رجال الصالحين" (ابن المفتي، 2009، صفحة 60). وكانت أول أعمال حسين باشا بعد تعيينه دايا جديدا سنة 1818م، أن أمر بدفن سابقه الداي علي باشا (1817- 1818) (التعليق رقم 11) أيضا قرب ضريح الثعالبي "فجهزوا المتوفى ودفنوه وكتبوا البشائر لسائر العمال" (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 142).

- خاتمة:

عرف المغرب الإسلامي الأوسط الزوايا على الأقل منذ القرن 6هـ/ 12م، لكن ابتداء من القرن 10هـ/ 16م كثرت في البلاد بعد مجيء الأتراك العثمانيين، وما يؤكد ذلك بنائهم لبعض الزوايا المخصصة للأولياء الصالحين الذي سبقوا حلولهم بالجزائر مثل قبة أو ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي سنة 1108هـ/ 1696م، الذي كان من أتباع الطريقة الصوفية القادرية.

بالحديث عن القادرية فقد بقيت وفية للتواجد العثماني منذ حلولهم بالإيالة لانتساب الأتراك الأوائل لها والتحالف الذي بقي بينهما، حيث كان أولاد سيدي الشيخ مثلا من أنصارهم لإتباعهم نفس الطريقة، لكن خلفاء هؤلاء الحكام لم يضمنوا ولاء أصحاب الطرق بشكل عام خاصة أواخر العهد العثماني، مما أثار خوفهم مرارا من تمردهم عليهم. ولئن لم تفصل المصادر في قيام ثورات الطرق في البلاد في القرون 16 و17 و18م إلا ما نذر، غير أن الطريقتان الدرقاوية والتيجانية ثارت عليهم في أواخر عهدهم كونهم أعداء لهم، حتى هددت تواجدهم في غرب البلاد.

ورغم عدم اقتناع الأتراك على ما يبدو بالطرق الصوفية والمتصوفين إلا التي انتموا إليها في بداية عهدهم ولإيمان عدد منهم الصوفي، إلا أن خلفائهم فعلوا ذلك لمجرد كسب عواطف الناس وتجنب تمردهم عليهم في أثناء فترات حكمهم، وهو ما لحظناه من استنجادهم برجال تلك الطرق في حالة وقوع تمرد قصد طلب توسطهم، هذا لا ينفي تصفية حساباتهم معهم في حال اختلفوا معهم، ألم يأمر الداي أحمد خوجة بقتل أحد رجال الطريقة القادرية؟

تعتبر الطريقة القادرية المشرقية المنشأ أهم الطرق في الجزائر، وأبي مدين شعيب المعروف بسيدي بومدين أقدم متصوفة الجزائر على الأرجح، ولقد تفرعت العديد من الطرق من القادرية والشاذلية. وإذا كان العديد من الإنكشاريين الذين حلوا بالجزائر أتباع طرق دينية في الأناضول كالطريقة المولوية والبكداشية والنقشبندية، إلا أنها لم تؤثر ولم تجد قدم لها في الإيالة وانحصرت بين الأتراك خاصة.

يمكن القول في الأخير أن الدور الاجتماعي للزوايا والطرق الصوفية كان بارزا، لأن استقرار الأوضاع يخدم السلطة التركية بدرجة كبيرة، ولا أدل على ذلك من التعسف الذي تسبب به بعض الحكام وفرضهم ضرائب باهضة أثقلت الرعية خاصة في أواخر العهد العثماني بعد ضعف غنائم الغزو البحري، مما عرضهم إلى الثورات التي تسببت بها بعض الطرق التي سبق ذكرها.

-التعاليق:

التعليق رقم 1:

هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف بن طلحة. ولد سنة 785هـ/ 1384م بوادي "يسر" بالجنوب الشرقي من الجزائر، وهناك تلقى مبادئ العلم الأولى على يد والده وشيوخ القرية، ثم انتقل صحبته إلى مدينة الجزائر، ثم قصد بجاية فأقام بها سبعة سنين للاستزادة من العلم، ثم تونس حين مكث بها ثمان سنوات انتفع خلالها من العديد من علمائها مثل: عيسى الغبريني... ثم توجه إلى مصر سنة 817هـ/ 1414م، واستقبل استقبالا طيبا هناك، ثم أقيمت له زاوية ما تزال وقفا محبسا عليه إلى يومنا هذا. ومن هناك توجه إلى الحرمين الشريفين حيث أدى فريضة الحج، ثم عاد لمصر ومنها لتونس فالجزائر، حيث استقر بها مشتغلا بالعبادة وبث العلوم الشريفة في شتى الفنون والعلوم. وفيها ولي القضاء من غير رضا منه فأبى.

أثر الثعالبي في مجتمعه عن طريق ميدان الزهد والتصوف. ولقد تخرج على يديه جمع كبير من الطلبة منهم: الإمام السنوسي، المغيلي... كما ترك تآليف عديدة تجاوزت التسعين مؤلفا منها مثلا في التصوف: إرشاد السالك، الإرشاد لما فيه مصالح العباد... توفي يوم الجمعة 23 رمضان 875هـ/ 15 مارس 1479م وهو بعمر 90 سنة، ودفن بجبانة الطلبة بمدينة الجزائر. ينظر: (القاسمي الحسني، 1427هـ/ 2006م، الصفحات 194- 196).

التعليق رقم 2:

هو أبو حامد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي الجزائري المعروف بالمعسكري، نسبة لمكان الولادة بقرية "الكرط" بضواحي مدينة معسكر بتاريخ قدر في سنة 1805م. اعتبر صاحب التآليف الغريزة في الأدب والتاريخ والتراجم والنسب... لذلك وصفه المترجمون بـ"الأديب والمؤرخ والنسابة والراوية"، إذ كان اسمه يرد كأحد الإخباريين والنسابة في القرن 19م عبر مؤلفاته المتنوعة التي ذكرت في عدد من الدراسات التاريخية والأدبية، والتي قدرت بـ 35 مؤلفا في

مجالات عدة. هاجر إلى المغرب الأقصى واستقر بفاس سنة 1843م، وبها توفي سنة 1313هـ/ 1895م وهو بعمر 90 سنة، ودفن "قرب ضريح علي بن حرزهم خارج باب فتوح". ينظر: (البقالي، 2020، الصفحات 45- 47).

التعليق رقم 3:

هو الولي الصالح شعيب بن حسين الأنصاري المعروف بأبي مدين الغوث. أصله من حصن قطنيانة من قرى إشبيلية بالأندلس، غادر مسقط رأسه مبكرا قاصدا المغرب الأقصى، حيث حل بطنجة ثم سبتة ثم مراكش التي عمل فيها جنديا مدة من الزمن، ليشد الرحال إلى مدينة فاس التي لزم جامعها الذي كان يومئذ يعج بالعلماء والفقهاء، وخاصة أبي الحسن علي بن حرزهم العالم الصوفي الذي كان "أول شمعة أضاءت حياة الطالب العلمية". كما درس علوم الصوفية والتصوف على يد شيوخ كبار مثل الشيخين أبي علي الدقاق وأبي يعزى. غادر المغرب إلى بجاية التي كانت حاضرة علم ومعرفة و"لقب بشيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد والزهاد" بعد أن تخرج على يديه ألف من التلاميذ. ثم رحل إلى المشرق وزار مكة لأداء فريضة الحج وفيها اجتمع بالصوفي الكبير عبد القادر الجيلاني و"أكمل بإرشاداته ونصائحه وتوجيهاته علومه الصوفية". ولما اشتهر أمره استدعاه السلطان عبد المؤمن بمراكش إلى حضرته. توفي ودفن بتلمسان عام 594هـ/ 1198م وعمره حوالي 80 سنة. ينظر: (العقبي، 2002، الصفحات 694- 698).

التعليق رقم 4:

هو محي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلاني بن أبي موسى الحسني، ولد في جيلان بإيران عام 471هـ/ 1078م، وتوفي عام 561هـ/ 1166م حيث قبره وزاويته موجودة إلى الآن. ولقد انتهت إليه في زمنه الإمامة في العلوم الشرعية وفي التربية الصوفية، وكان له عدد لا يحصى من التلاميذ في كل أنحاء العالم الإسلامي. انتشرت طريقته في "جل أصقاع العالم خصوصا الشرق الأقصى". ينظر: (مفتاح، 1408هـ/ 1987م، صفحة 13).

التعليق رقم 5:

هو الحاج احمد وعرف بـ"الأجه" أو الآغا، تولى الحكم في 23 من ذي الحجة سنة 1106هـ/ 1695م، وتوفي سنة 1109هـ/ 1697م. ينظر: (ابن المفتي، 2009، صفحة 58).

التعليق رقم 6:

وليّ حسن باشا الحكم في 10 ذي القعدة 1205هـ/ 10 جويلية 1791م خلفا للداي محمد بن عثمان باشا، وكان خزناجيا للأخير في أثناء حكمه. وصفه الزهار بأنه " كان عارفا عاقلا وله فطانة في الأمور. غير انه في بعض الأحيان كان يعتريه الحمق حتى يفعل أمورا لا تعرف محلا". قام بنقض معاهدة مع السويد سنة 1206هـ/ 1791م وكذلك مع أمريكا التي أعلن الحرب عليها واستولى على سفنها في المتوسط، ثم طالبوه للصلح فوافق بشروط. وفي عهده تم الفتح النهائي لوهران. وقضى على تمرد صالح باي قسنطينة. غزت مراكبه جنوة وسردينيا ونابولي... وحصلت على غنائم. توفي سنة 1212هـ/ 1798م. ينظر: (الشريف الزهار، 1974م، الصفحات 51، 60، 63- 66).

التعليق رقم 7:

يعرف بعلي باشا بوصباع، تولى الحكم سنة 1168هـ/ 1754م بعد موت محمد باشا، وكان خزناجيا لمدة سبع سنوات عارفا بأحوال البلاد وأهلها. أخذ عدة غنائم وأسارى من نابولي. توفي يوم الأحد 21 شعبان 1179هـ/ 01 فيفري 1766م. ينظر: (الشريف الزهار، 1974م، الصفحات 15- 16، 22).

التعليق رقم 8:

ليس لنا ما يؤكد التسمية الصحيحة له، فالدكتور ناصر الدين سعيدوني سماه خوسرف. تولى الحكم سنة 1034هـ/ 1624م، وتوفي بعد سنة واحدة؛ أي في 1035هـ/ 1624م. ينظر: (الشويهد، 1427هـ/ 2006م، صفحة 151).

التعليق رقم 9:

لما توفي الداي حسن باشا خلفه حفيده مصطفى الذي كان خزناجيا سنة 1212هـ/ 1797م. يصفه الشريف الزهار في ما يلي: "كان رجلا صالحا، حليما كريما محبا للعلماء والصلحاء، رحيما بالفقراء والايتام، محبا للمجاهدين والغزاة، وكان شجاعا رحمه الله". رفضت الدولة العثمانية قبول هديته التي أرسلها بسبب استيلاء الرياس على بعض سفن اليونان لكونهم من رعاياها. جهز خمسة مراكب وأرسلها إلى ليفرون استولت على ثلاثة مراكب لليونان، ثم بعد أيام استولت على 18 مركبا لهم محملا بالقمح وأنواع السلع. غزا بسبعة مراكب نابولي سنة 1213هـ/ 1798م. وفي 1214هـ/ 1799م غنم الرياس مراكب للنمسا والمجر. وفي سنة 1215هـ/ 1800م استولى الرايس حميدو على فرقاطة للبرتغال بها 500 أسير. وفي 1216هـ/ 1801م غزا الرايس دحمان ناحية بنابولي فغنم 350 أسير. احتجاجا منه على الحملة

الفرنسية على مصر قام بإلقاء القبض قناصل فرنسا في مدينة الجزائر وعنابة ووهران، وسجنهم مع الأسرى، فتدخل السلطان وأعادهم لبلادهم. وفي أثناء ذلك استولى الرياس على ثلاثة سفن فرنسية، وبقي أصحابها أسارى إلى أن وقع الصلح مع فرنسا. من أعماله العمرانية: بناء برجي باب الوادي، وتافورة، وحاول ترميم برج قانت الفول، وبنى بستانا بعين الربط به قصورا، كما بنى دورا منها دار مصطفى باشا. وفي عهده قتل بوجناح. ينظر: (الشريف الزهار، 1974م، الصفحات 71- 77، 80- 82).

التعليق رقم 10:

يعتبر الداي حسين آخر الدايات العثمانيين الذين حكموا إيالة الجزائر، امتدت فترة حكمه من 23 ربيع الثاني 1233هـ/ 01 مارس 1818م- 05 جويلية 1830م. ينظر: (الشريف الزهار، 1974م، صفحة 141).

التعليق رقم 11:

ولّي علي باشا في شهر شوال من سنة 1232هـ/ أوت- سبتمبر 1817م خلفا لعمر باشا الذي ثار عليه العسكر وعينوه مكانه. ومن أهم أعماله فضلا عن نقل دار الإمارة من الجنينة إلى أعالي القصبة، وقضائه على محاولة تمرد الانكشارية عليه، وقتل العديد منهم، قضى كذلك على تمرد محلة الشرق التي حاولت تعيين شاوش المحلة مكانه. وأمر بقتل جاقار باي قسنطينة، وعين مملوكا من مماليك الآغا يسمى احمد خلفا له. كما حاول عقد صلح مع تونس بأن بعث إليهم الحاج يوسف وهو من كبراء المماليك، والعلامة سيدي علي بن النيكرو والباش كاتب. توفي بالقصبة بالوباء، ولم يدم حكمه أكثر من سنة. ينظر: (الشريف الزهار، 1974م، الصفحات 131- 132، 136- 138).

قائمة المصادروالمراجع:

-إلترعزيزسامح. (1409هـ/1989م). الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية (الإصدار 1). (محمود علي عامر، المترجمون) بيروت- لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

-باشا علي رضا بن حمدان خوجة الجزائري (1442هـ/ 2021م)، مرآة الجزائر. (خليفة حماش، المترجمون) قسنطينة- الجزائر: جامعة الأمير عبد القادر.

-البقالي هشام. (جوان, 2020). "مساهمة العربي المشرفي في الحياة الفكرية لمغرب القرن التاسع عشر دراسة ببليوغرافية". المجلة الجزائرية للمخطوطات، جامعة أحمد بن بلة- وهران 1، المجلد 16، العدد (01)، ص ص 44- 61.

DOI: https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/160/16/1/129635

ابن المفتي حسين بن رجب شاوش. (2009). تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها. (فارس كعوان، المحرر) العلمة- الجزائر: بيت الحكمة للنشر والتوزيع.

-بوسليم صالح. (رجب 1431هـ/ جوان 2010م). "مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12- 13هـ/ 18- 19م بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي". مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي غرداية، العدد (9)، ص ص 98- 120.

-خوجة حمدان بن عثمان. (2005). المرآة. (محمد العربي الزبيري، المترجمون) الجزائر: طبعة خاصة بوزارة المجاهدين.

-زبادية عبد القادر. (2010). دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

-الزهار أحمد الشريف. (1974م). مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168- 1246هـ 1754- 1830م. (أحمد توفيق المدني، المحرر) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

-سعد الله أبو القاسم. (1998م). تاريخ الجزائر الثقافي (1500- 1830)م (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-سعيدوني نصر الدين. (1984م). موظفو الدولة الجزائرية في القرن التاسع عشر. الجزائر: منشورات وزارة الثقافة والسياحة.

-شهي عبد العزيز. (2007). الزوايا والصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر. الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع.

-الشويهد عبد الله بن محمد. (1427هـ/ 2006م). قانون أسواق مدينة الجزائر (1107- 1117هـ/ 1695- 1705م) (الإصدار 1). (ناصر الدين سعيدوني، المحرر) بيروت- لبنان: دار الغرب الإسلامي.

-الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله (644- 714هـ). (1979م). عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (الإصدار 2). (عادل نويهض، المحرر) بيروت– لبنان: دار الآفاق الجديدة.

-غطاس عائشة. (2012). الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700- 1830 مقاربة اجتماعية اقتصادية. الجزائر: منشورات ANEB.

-العقبي صلاح مؤيد. (2002). الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها. بيروت- لبنان: دار البراق.

-القاسمي الحسني عبد المنعم. (1427هـ/ 2006م). أعلام التصوف في الجزائر (الإصدار 1). المسيلة- الجزائر: دار الخليل القاسمي.

-كوران أرجمند. (1972). "الامبراطورية العثمانية والجزائر في التاريخ". محاضرة رقم 49، الملتقى الثاني عشر للفكر الإسلامي. باتنة- الجزائر.

-المدني أحمد توفيق. (1382هـ/ 1963م). كتاب الجزائر (الإصدار 2). البليدة- الجزائر: نشر دار الكتاب.

-مفتاح عبد الباقي. (1408هـ/ 1987م). أضواء على الشيخ أحمد التيجاني وأتباعه. وهران- الجزائر: مدونة الولي الصالح سيدي بن عزوز.

-Défense, S. h. (septembre- octobre 1835). Province Alger, Correspondance Algérie. Archives militaire, Vincennes.

-Pottier, R. (1947). Lavigerie a port et civilisateur. Paris: E. Pigelet.